الاتجاه الاخباري عند الشيعة

shiite Akhbari - An Interductory Paper

ا.متمرس.د. عبد الأمير كاظم زاهد *
تدريسي في جامعة الإمام الصادق (ع)
فرع النجف الأشرف

Prof. Experieaced
abdulameer Kadhum Zahid

فرقة الاخبارية فرقة من الشيعة للأمامية ظهرت في أوائل القرن الحادي عشر للهجري على يد الميرزا محمد امين الاسترابادي ، تبنت محتوى منهجي مغاير للمسلك الاجتهادي الاصولي عند الشيعة الامامية وادعت انها امتداد للتيار الروائي الشيعي الذي ظهر في القرن الرابع الهجري ،وقد نسبه بعضهم للصدوق (ت٣٨١هـ) .

Abstract:

The Akhbari movement among the Shiites is a trend that has its own opinion on the method of jurisprudential deduction. It appeared in the eleventh century AH in Karbala and presented its vision and students of religious sciences sympathized with it, but the traditional fundamentalist method disputed its argument and evidence. The debates continued for more than a century, led by Al-Istrabadi and Sheikh Yusuf Al-Bahrani. The deductive ijtihad approach was led by Baqir Al-Behbahani, and finally the approach of the mujtahids prevailed. The narrative Akhbari line declined, but it never disappeared. The Shaykhism and the Hujjatiyya emerged from it, and some of its sayings leaked into some of the fundamentalist movement.

ونشتمل المنهجية الاخبارية على :

١-ان الله تعالى اصطفى النبي والائمه

* رئيس تحرير المجلة.

ليكونوا حججا لله على الخلق، وقد عصمهم من الخطأ والزلل ، واعطاهم من الخصائص العالية ثم اودع فيهم اسرار القران ، فلا تعرف دلالات القران الا بتفسير من واحد منهم للآية ، لذلك اعتمدوا فقط على تفسير القمي او العياشي

٢-ان مفهوم السنه عندهم مفهوم واسع جدا فهو يشتمل على اقوال وسلوك النبي والائمه الاثني عشر، وان المرويات عنهم كاشفة عن مراد الله تعالى فصارت المرجع الأساس عندهم لأحكام العقيدة والقانون لانها المنقولة عن المعصومين لذلك اعتقدوا بمرجعيه الكتب الأربعة وصحتها مطلقا

٣-ولا ينبغي عندهم تمحيص الروايات او رد بعضها باعتبار ان مشايخ الرواية هم الذين نقلوا ما صدر عنهم ، فهم يقطعون بصحة كل ما ورد في مراجع الكتب الأربعة) (الكافي ، ومن لا يحضره الفقيه ، والتهذيب ، والاستبصار)

٤- اما القران الكريم فانه يحتاج الى بيان مقطوع بصحته ولأن مهمه الائمه بيان النص ، فانه لا يحتاج الى تأويل منا لذلك فهم يتمسكون بظاهر الحديث ويتعاملون معه حرفيا سواء كان موسس للبحكم او مبين لمراد قراني.

٥-بعد ذلك لا يرون وجها للاجتهاد مادام الباري قد تكلف ببيان الشريعة بما انزل ثم جعله الائمه الاثنا عشر مفسرين وشراح واهل بيان فالاجتهاد الفردي اوالجماعي الذي يسمى بالأجماع يصدر ممن لم يعصمه الله ، فهو عرضه للخطأ وبذلك فهم يمنعون الاجتهاد واعمال العقل ، ويصرون على ان الأصول المرجعية هي فقط (القران ، المرويات) و ان المرويات هي التي تخصص النص لذلك فلم يكن القران (اصل الاستدلال) طالما جعلت المرويات برتبة القران، واستدلوا بروايات تنهي عن التفسير بالراي تمسكا بالتفسير الروائي

٦-بالمقابل يرى الأصوليون ان الكتب الأربعة (قد جمعت ما وجدته من المرويات عن الائمة وان الاحاديث الواردة فيها لا تصح كلها لعوامل تاريخية وسياسية لذلك لابد من منهج ومعيار لفرز الصحيح منها فقسموها التقسيم الرباعي (الصحيح ، الحسن ، الموثق ، الضعيف) منذ القرن الثامن الهجري

٧-يذهب الاخباريون الى عدم جريان البراءة في الشبهات الحكمية التحريمية مقابل رأى الاصوليين الذين يقولون بصحة جريان البراءة فيها

٨-وقد انعقدت عقيدة الاخباريين على ان الكتب الاربعة هي اصح المصادر للمرويات وبذلك يقول الفيض الكاشاني (ت١٠٩٠) (ان مدار الاحكام على هذه

الأصول الأربعة وهي المشهود عليها بالصحة فكلها صحيحه قطعية الصدور عن الائمة)١

٩-ويرون انه مادام أصحاب الائمة هم الذين نقلوا الروايات عنهم فلا حاجة للنظر والبحث والتدقيق في الاسانيد لان رواتها اصحاب الامام المعتمدة روايتهم فلا ضرورة لا لبحث الاسناد ولا ضرورة لتمحيص المتن لانها صادرة عن المعصوم [١]

١٠-ويستدلون على صحه مسلكهم ان علماء الشيعة الأوائل حتى نهاية عصر الائمة كان اتجاههم اخباري ولكن المسلك قد تزعزع في القرن الرابع الهجري بسبب تأثر الفقهاء المتأخرين بمسلك اهل السنه ، فصاروا مثلهم يعولون على العقل والقياس والاستحسان وكلها وسائل لا توصل الى مراد الله ولا تفيد غير الظن ، لذلك فانهم يعتبرون انفسهم حركه تصحيح ولها تأصيل تاريخي [٢] ، وهم يتطلعون للعودة الى الينابيع الأولى للتفقه البياني

١١- ويقولون لقد انتمى لهذا المسلك علماء كبار وموسوعيين مثل الفيض الكاشاني ويوسف البحراني ، والشيخ المجلسي ، والحر العاملي ، إضافة الى الاسترابادي الذي يعد (الشخص الأكثر ظهوراً) والذي قيل عنه انه اول من فتح باب الطعن على المجتهدين

١٢- يرى دارسون ان جوهر الخلاف الاخباريين والمجتهدين فقط في منهاج الاستنباط ، اما في مجال الاعتقاد فلا نظفر باختلاف معهم ، وهذا الرأي ليس صحيحا صحه تامه ذلك لانهم امنوا بالولاية التكوينية وبالرجعة وهي عقائد مختلف عليها عند الاصوليين واظن ان هذا الخلاف يشبه ذلك النزاع المنهجي الذي حصل في بواكير نشأة علوم الإسلام وانقسام الناس بين منهج الراي ومنهج النص في الفقه والكلام والتفسير ، فهذا الخلاف مالوف في المعرفة الدينية

١٣- ومن جهة التقليد_ لغير المعصومين _ فانهم منعوه (للمجتهدين) وفرضوا تقليد المعصوم حتى بعد مماته ابتداء .

لقد احصى صاحب الروضات [٣] (اختلاف الاخباريين عن الاصوليين فوجدها في أربعين مساله ، وزادها الميرزا محمد الاخباري الى تسعة وخمسين

وقد يجد الباحث اضطرابات في مواقفهم من بعض المسائل مثل انكار الملازمة بين الحكم العقلي والشرعي كما يذهب اليه اهل الأصول في مباحث التحسين والتقبيح العقليين لكن المشهور عندهم عدم حجيه

(١) عبد الله البحراني

(٢)

(٣)

القطع الحاصل من غير الكتاب والسنة .

ظروف نشأة الحركة الاخبارية

نشأ المفكر الاخباري (محمد امين الاسترابادي) في ايران ، ثم استقر ودرس في الحجاز ثم رحل الى كربلاء بالعراق ثم قاد الحركة الإخبارية وساهم باتساعها في عهد الشاه طهاسب (١٥٧٧م) حتى ظهرت كتيار رافض لنفوذ فقهاء السلطة الصفوية **التقليديين**

لذلك يرجح بعض الباحثين ان للحركة الإخبارية جذورا سياسية تعود للعلاقة المتوترة بين الفقهاء المجتهدين في بلاط الصفويين وبين السياسيين وكان الفقهاء اكثرهم من الاصوليين؟ وقد تمتعوا بنفوذ كبير في بلاط الصفويين فدعم الصفويين للاتجاه الاخباري اضعاف لنفوذ الفقهاء وكان ذلك عاملا من عوامل تقوية السلاطين الصفويين على مؤسسه الفقهاء (نواب الامام) **فساعدهم** عامل سياسي هو ان الصفويين كانوا قد تقربوا الى الفقهاء وجعلوهم في مواضع مهمة في الدولة لكن كانوا يراقبون (اتساع نفوذهم) الذي يزاحم نفوذهم السياسي وعليه فليس مستعبدا ان يكون لهم دور في دعم التوجه الاخباري حتى سقطت الدولة الصفوية عام ١١٣٥على يد قبائل أفغانية .

وقد وجه الاخباريون نقدا هائلا للاجتهاد اذ كان مصطلح الاجتهاد حتى عصر المحقق الحلي يعني القياس والاستحسان والرأي ، وكان هذا الفهم قد استمر من ٤٦٠هـ من وفاة الطوسي الى ازمان بدء الحركة الإخبارية فجاء كلامهم رد فعل على التصور(العرفي) للاجتهاد بوصفه تأليها للعقل وسببا لضياع التراث الروائي بينما يعتقد الأصوليون ان مسلكهم يؤدي واجب الدفاع عن الطابع العقلي للنصوص الروائية

وكان هاجس الاخباريين التخوف من سطوه العقلانية والابتعاد عن الشرع وتصير الامور مثل مدرسة الراي عند السنة الا انهم غالوا في هذا التخوف فظهر موقفهم السلبي من مطلق استخدام العقل والملازمات العقلية والتشكيك في حجيه الاحكام العقلية

وقد ظهرت في بلاط الصفويين نزاعات عقلية، فلسفية ،سلفية ،صفوية ومثل النزعة الفلسفية العرفانية مثلا **صدر الدين الشيرازي** الذي أشار الى ان الفقهاء قد اغرقوا انفسهم مع السياسيين الصفويين بسبب (نقصان المعرفة) وكانت اهدافهم اخضاع الناس وكانت **السلفية حاضرة انذاك) لذلك فقد اعتقد سلاطين الصفويين ان**الاسترابادي سيقضى على هيمنة الفقهاء ، ومن جهة اخرى قدم الاخباريون اطروحتهم (باطار علمي تصحيحي)

اذ كتب (الشيخ امين الاسترابادي) كتابا يشرح مسلكه اسماه (الفوائد المدنية) وقد احتوى كتاب الفوائد المدنية

١.عدم جواز تفسير القران الكريم الا اذا ورد في المرويات تفسيره

٢.اعتبار المرويات عن الائمة هي المصدر الوحيد للتشريع والاعتقاد

٣.يقرون ان العقل لا يصل الى كنه النص ومراده

٤.يعتبرون الاجماع مصدرا غير قطعي ومظنون

٥.يجوز عندهم تقليد الميت ابتداء ويقصدون المعصوم

٦.يرون ان هذا المسلك هو مسلك علماء الشيعة الاوائل

٧.ان الكتب الأربعة قطعية الصدور

٨. وذهبوا الى تحريم العمل السياسي الإسلامي لا سيما ولاية الفقيه

٩.رفضوا تقسيم الحديث الرباعي

١٠ - استندوا لدليل تاريخي ان مسلكهم (سيرة المعصومين واصحابهم) وظهروا كأنهم يرفضون فقهاء السلطة الصفوية ، وبالمقابل شجع العثمانيين هذا التيار وقد استولوا على الحجاز فصاروا مركز مناوئ للصفويين واستنكروا من وصفوهم حاشية السلطة واستدلوا ب(نهي الائمة عن الدخول في خدمة الحكام) ووصفوا اعتقادهم بانه رد فعل لتدخل المجتهدين بالسياسة (حفاظا على الاصالة النظرية) واتهمهم الاسترابادي : بانهم تتلمذوا على علماء السنة الذين سبقوهم في البحث الاصولي فصار مسلك المجتهدين في تصور الراي العام اطارا سنيا وبرهنوا على ذلك باراء ابن الجنيد التي غالبا ما تتفق اجتهاداته مع المذهب الحنفية

ومن اشهر فقهائهم الشيخ يوسف البحراني : الذي بدأ اخباريا صلبا لكنه اجرى (مراجعات) افضت به الى التوازن وادرك ان الشيعة كلهم سيكونون خاسرين في هذا المعترك

فاستقر الحال على اتجاهين (سلفي معتدل \ عقلي ملتزم) وكان محمد اكمل البهبهاني قد أوقف اتساع الاخباريين الذين استمروا قرابة قرنين وانحسرالاتجاه وقد اقنع الناس ان مراد الاخباريين قد تحقق في التقيد بمدونات ا لراوي عن المعصوم فانتفى دورهم اذ اتفق المجتهدون على ان المدونات الحديثية (مصادر البيانات) يستفيد منها الأصوليون المجتهدون فابان عقم التيار الاخباري لكنه تطور بظهور تيار الشيخية كاظم الرشتي .

تداعيات

١.اغلب الظن ان نشوء الإخبارية من تداعيات صراع المؤسسه الفقهية والسلطة الصفوية ممثلة بالشاه عباس

٢. ان ظهور الحركة الرشتيه كان امتدادا للحركة الاخبارية وكان يفتقد للمستند

والدليل فاعلن عن النيابة عن الامام ، وذهب الاحساني الى انه يتمتع برعاية الامام بالرؤيا والمنام

٣. في ظني ان ازمة الإخبارية أجبرت المجتهدين على إعادة النظر بمسالك الاجتهاد عندهم استفادة من صنوف النقد الاخباري فاستطاعت ان تتقدم تقدما هائلا بينما غرق المسلك الاخباري بالروايات الضعيفة والغلو فساد مسلك العمل بالرواية الضعيفة

٤.تأخر المسلك السلفي عند السنه (ابن تيمية) وظهر في مجال (العقيدة والكلام) بينما الاخباريين حاروا المسلك الاصولي فقد كان الصراع بين العقلانية والنزعة البيانية .